الأمير عبد الله يحمل ثلاث قضايا جوهرية الى ثلاث قارات:

التضامن، والدفاع عن القدس، ومواجهة الإرهاب

لم يكتف ولي العهد السعودي، نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، الأمير عبد الله بن عبد العزيز، في جولته العالمية بطرح العلاقات الثنائية بين المملكة والدول التي شملتها الجولة، بل حرص على إيضاح صورة الإسلام الحقيقي ضد العنف والإرهاب، وكذلك قضية القدس والمخاطر الصهيونية التي تتهدد الأمن والسلم في المنطقة.

ولعل الكلمة التي ألقاها ولي العهد السعودي، خلال الإحتفال الشعبي الكبير الذي اقيم إحتفاء به في لاهور، تشكل أبلغ إختصار للأهداف والهموم التي حملها الأمير عبد الله خلال جولته العالمية التي شملت كلاً من: بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة الأميركية، الصين، اليابان، كوريا الجنوبية وباكستان.

ففي هذا الإحتفال الذي أقامه رئيس وزراء إقليم البنجاب محمد شهباز شريف في لاهور، قال ولي العهد السعودي: لقد قمنا بجولة شملت زيارة عدداً من الدول المؤثرة في العالم سياسياً وإقتصادياً، ولم يكن هدفنا خدمة مصالحنا وعلاقاتنا الثنائية مع تلك الدول فحسب، بل كانت قضايا أمتنا الكبرى نصب أعيننا ومحط إهتمامنا، فأثرنا كل ما هو ساكن وأوضحنا كل ما هو غامض وناقشنا مع قادة وأقطاب هذه الدول ما يلاقيه شعب فلسطين الشقيق من بغي وجور وما تقاسيه مدينة القدس من عدوان وسعي لطمس هويتها العربية الإسلامية، وما تتعرض له مسيرة السلام في منطقة الشرق الأوسط من تعثر وجمود سببهما تعنت اسرائيل وغطرستها. كما أثرنا معهم تجني بعض وسائل الإعلام على الإسلام ووصم أهله بالإرهاب والعنف والتطرف، أثرنا ذلك لكي يدرك الجميع أن الإسلام دين الإنسانية والرحمة والتسامح، لا إفراط فيه ولا تفريط ولا يمثله أفراد شذوا عن منهجه القويم سعياً وراء أهداف مشبوهة لا يعلمها إلا الله.

وأضاف الأمير عبد الله بن عبد العزيز: إننا نعيش في عصر تحولات كبرى متلاحقة، لا مكان فيه للضعفاء، عصر العولمة والتكتلات الكبرى، عصر يتداعى علينا نحن أمة الإسلام بتحدياته ومتغيراته، ولعل من المناسب أن نتوجه من هنا،

برسالة لإخواننا العرب والمسلمين قاطبة، فحواها الدعوة للتضامن قولاً وعملاً والتسامي فوق كل أسباب الفرقة والخلاف لأن ما يجمعنا أكثر بكثير مما يفرقنا فنحن خير أمة أخرجها الله للناس، نحن أصحاب رسالة خالدة متجددة لهداية البشرية وإصلاحها، أمة محكومة بقيم سامية ومثل عليا جعلتنا نحتل في ما مضى موقع الصدارة ودور الريادة بين الأمم، وما أقصانا عن هذا الموقع وذاك الدور إلا ضعفنا وفرقتنا وتخاذلنا.

وعلى أهمية الموضوعات والعناوين التي حفلت بها جولة الأمير عبد الله في القارات الثلاث، أوروبا وأمريكا وآسيا، إلا أنه يمكن إعتبارها أنها كانت جولة القدس ومستقبل المدينة المقدسة. فقد كانت قضية القدس حاضرة في المحطات السبع التي شهدتها هذه الجولة، وهي أدت إلى إرجاء صدور البيان المشترك عن زيارة ولي العهد السعودي إلى كل من واشنطن وبكين.

ففي حين تأخر صدور البيان المشترك السعودي - الصيني ساعات "للتفتيش عن مفردات مشتركة في ما يخص قضية القدس"، إلا أن المسؤولين الأميركيين رفضوا في البدا أي ذكر للقدس في البيان المشترك.

هذا الموقف الأميركي، دفع الأمير عبد الل لإبلاغ البيت الأبيض عبر وزير الخارجية الأمي سعود الفيصل وسفير السعودية في واشنط الأمير بندر بن سلطان، اللذين قاما بالمفاوضا اللاحقة، انه مستعد لإلغاء البيان المشترك برم إذا أصر الأميركيون على موقفهم. وبع مفاوضات وإتصالات مكثفة شملت الرئيس كلينتون، توصل الطرفان السعودي والأميرك إلى صيغة تؤكد تباين موقفي الدولتين م موضوع القدس، إذ أشار البيان المشترك إل "قلق السعودية العميق إزاء الاجراءات التي تقو بها إسرائيل من طرف واحد بما في ذل الإجراءات في القدس لأنها قد تستبق نتا مفاوضات المرحلة النهائية".

ولم يستغرب المراقبون هذا الموقف من الأم عبد الله، وهو المعروف بصراحته وبأنه يعني م يقول، خاصة أمام المعلومات التي نقلتها مصاد مطلعة في واشنطن عن "النقاش الحيوي" الذ دار بين ولي العهد السعودي والرئيس الأميركي فعندما طلب كلينتون من الأمير عبد الله الضغ على المفاوض الفلسطيني، كان الجواب: "لق جئتكم لأطلب منكم التدخل مع نتنياهو والضغ على إسرائيل لتعديل مواقفها..." وطرح ول العهد السعودي أسئلة متعاقبة على الرئيس الأميركي مثل: من يقتل أطفال من في الأراض الفلسطينية؟ من يمنع النساء الحوامل م الوصول إلى المستشفيات وإرغامهن على الولا في السيارات على الحواجز؟ من يبن المستوطنات؟..

وإذ قال أن السعودية تدعم ما يقو الفلسطينيون، إلا أن الأمير عبد الله ذكّر الرئيس كلينتون أنه إذا كانت التنازلات الفلسطينية كبي تحت الضغوط، فإن السعودية لن تقبل بذا وسوف تعلن عن موقفها.

ثوابت السياسة السعودية، أعلن عنها الأم عبد الله منذ المحطة الأولى لجولته وأكد عليه غير مرة. ففي لقاء جمعه مع السفراء العرب ف لندن، أكد ولي العهد السعودي على جملة أمو من بينها:

– الأمة العربية، بإعتمادها على الله سبحانه وتعالى، قوية بعزيمتها وإرادتها، ويجب علينا إزالة الخلافات وتوحيد الصف العربي.

– قد يتبادر إلى ذهن إسرائيل أن العرب عندما يطالبون بالسلام يدفعهم الى ذلك ضعفهم، وهذا غير صحيح. نعم نحن نريد الإستقرار لهذه المنطقة، ونعم نحن نريد السلام من منطلق ديني إنساني قبل أن يكون من منطلق قوة، فنحن لسنا طلاب حروب.

– إذا ما تعنت الإسرائيليون واستمروا في ما هم عليه، فأؤكد لكم بحول الله أن الخاتمة للأمة العربية مهما طال الزمن. وأخوف ما تخاف منه إسرائيل هو تعاضد وتكاتف الأمة العربية ووحدتها، ولا بد لنا أن نعتمد بعد الله على انفسنا فنحن العرب أقوياء بإرادتنا وعندنا الإمكانيات التي لا تتوفر لإسرائيل ولا لغيرها ولا بد لهذا الليل أن يعقبه صبح مشرق.

– للعالم العربي مطالب، ونحن جزء من هذا العالم العربي، فمطالبه هي مطالبنا وقضيتنا الأولى جميعاً هي قضية فلسطين والقدس العزيزة على قلوب العرب والمسلمين.

– الأمة العربية مهما كانت خلافاتها لن تتخلى بأي حال من الأحوال عن فلسطين، ولن نتخلى عن إخواننا الشعب الفلسطيني. ومماطلات إسرائيل لا بد لها من نهاية. وفي نهاية المطاف بحول الله وقوته ستكون الخاتمة للأمتين العربية والإسلامية.

– لا نرضى بأي حال من الأحوال أن نعمل شيئاً ضد ما هو عربي أو مسلم ولا نقبله أبداً. وهذا هو الشيء الذي نقول فيه بكل قوة وإقتدار: لا، لا، في وجه أي كان مهما كانت علاقتنا أو صداقاتنا معه، فإننا نرفض أي مطلب من صديق ضد أي دولة عربية أو مسلمة. ولم يسبق لنا أن قمنا بهذا.

– الإرهاب مرض لا دين ولا جنسية له، من الخطأ إلصاق صفة الإرهاب بالإسلام لمجرد أن بعض الأفراد المتورطين في عمليات إرهابية يرفعون شعارات يزعمون أنها إسلامية.

– على الولايات المتحدة أن تقنع إسرائيل بقبول المبادرة التي كانت في الأساس من اقترحها، وعلى قبول ما التزمت اسرائيل به في إتفاقيات شهدت عليها الولايات المتحدة ذاتها وتعهدت بأن تكون راعية لعملية السلام.

تعزيز الإنفتاح على العالم

جولة الأمير عبد الله بن عبد العزيز، الذي أحيط بكامل الحفاوة والتكريم اللذين يتمتع بهما الرؤساء والقادة، أكدت السعي السعودي إلى تعزيز الإنفتاح على مختلف القوى الدولية الفاعلة على مشارف القرن المقبل. وقد تجسد ذلك في نتائج الجولة التي أثمرت فتح مجالات التعاون واسعة على غير صعيد مع كل من فرنسا والصين واليابان وكوريا.

ولعل الميادين والمجالات التي تكرست للتعاون مع الجانب الفرنسي توضح جانباً من سعة الأفق الذي تنظر إليه السعودية في علاقاتها مع الدول. ويمكن تلخيص هذه الميادين في ستة:

١ – حوار الحضارات، فالسعودية بما لها من موقع قيادي في العالمين العربي والإسلامي، وفرنسا كواحدة من البلدان القائدة للحضارة الغربية تستطيعان بتضافر جهودهما القيام بأمور كثيرة لإثبات خطأ القائلين بأن صدام الحضارات هو سيناريو القرن المقبل.

وتجدر الإشارة هنا الى الإهتمام الخاص الذي أبداه ولي العهد السعودي بموضوع حوار الحضارات، وهو الذي يرعى مهرجان الجنادرية الذي ينظمه الحرس الوطني السعودي مكرساً جهوده خلال السنوات الماضية لتناول موضوع حوار الحضارات ومستقبل العلاقات بين الإسلام والغرب.

٢– تعميق التعاون الإستراتيجي في ما يتصل بالعولمة الإقتصادية، خاصة مع سعي السعودية للدخول كعضو كامل في منظمة التجارة العالمية.

٣– الحفاظ على السلام والإستقرار في أرجاء العالم عامة، وفي الشرق الأوسط والخليج خاصة.

٤– مجالات التبادل العلمي والتكنولوجي والثقافة والتعليم والفنون والرياضة.

٥– مجال البيئة.

٦– مكافحة الإرهاب.

وتحقيقاً للإرتقاء بالعلاقات الى المستوى الإستراتيجي مع الصين تشكلت أربع لجان مشتركة تتولى قضايا التعاون في مجال التجارة، النفط والموارد المعدنية الأخرى، الإستثمار والتبادل العلمي والتقني. كما أكد البيان المشترك الصيني السعودي، أن الصين تلقي بكامل ثقلها تأييداً للمواقف السعودية الأساسية وأولها عملية السلام في الشرق الأوسط، والجهود السعودية الراهنة ضد أية تغييرات من طرف واحد في وضع القدس وتكوينها الديمغرافي السكاني وغير ذلك من خصائصها ●●